

التفكر في أمور الآخرة

محاضرة الاجتماع الأسبوعي
م 2023/04/17

تقديم

قسم الترجمة العربية

التابع لمركز الدعوة الإسلامية

التفكر في أمور الآخرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
أما بعد! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك يا حبيب الله
الصلاة والسلام عليك يا نبي الله وعلى آلك وأصحابك يا نور الله

(إن كان الدرس في المسجد فليلقن المدرس الحاضرين نيّة

الاعتكاف بصيغة)

نويّ الاعتكاف في المسجد مادمت فيه...

إخوتي الأحبة! علينا أن ننوي الاعتكاف عند دخول المسجد ما
دمنّا فيه حتّى لا يفوتنا أجر الاعتكاف والمكوث في المسجد، ولكيلا نقع
في الكراهة إن فعلنا بعض المباحات، فإنّه يُكره الأكل والشرب والنوم
والسحور والإفطار داخل المسجد، لكن إذا نويّا الاعتكاف جاز لنا
ذلك كلّه تبعاً للنّيّة، ولا ننوي الاعتكاف من أجل الأكل والشرب والنوم
فقط، وإنّما ننوي الاعتكاف ابتغاء رضوان الله تعالى.

وفي "ردّ المحتار": يُكره النوم والأكل في المسجد لغير المُعتكف،
وإذا أراد ذلك ينبغي أن ينوي الاعتكاف فيدخل فيذكر الله تعالى بقدر
ما نوى أو يصلي ثم يفعل ما شاء^(١).

(١) "الدر المختار مع رد المحتار"، كتاب الصوم، باب الاعتكاف، ٥٠٦/٣.

بعض النصائح حول النية

إخوتي الأحبة! لقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْعَمَلِ النَّيَّةُ الصَّادِقَةُ»^(١). فَقَبِلَ كُلَّ عَمَلٍ يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَوَّدَ عَلَى النَوَايَا الْحَسَنَةِ، وَقَدْ وَرَدَ: «النَّيَّةُ الْحَسَنَةُ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ»^(٢). فَتَعَالَوْا بِنَا لِنَنْوِي نَوَايَا حَسَنَةً قَبْلَ اسْتِمَاعِنَا لِهَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.

ومن النوايا المستحسنة عند استماع المحاضرة:

- أستمع لهذه المحاضرة غَاضًا لبصري مِنْ أَوْهَا إِلَى آخِرِهَا.
- أجلس على هيئةِ جِلْسَةِ التَّشَهُّدِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ بِنِيَّةِ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ.
- لَا أَتَكَاسَلُ فِي اسْتِمَاعِ الْمَحَاضِرَةِ.
- أستمع لها بغرض الإصلاح لنفسي، وأبْلِّغُهَا إِلَى الْإِخْوَةِ غَيْرِ الْمَوْجُودِينَ.

فضل الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ

عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ^(٣).

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

(١) "الجامع الصغير"، حرف الهمزة، ص ٨١، (١٢٨٤).

(٢) "الجامع الصغير"، حرف النون، ص ٥٥٧، (٩٣٢٦).

(٣) "سنن الترمذي"، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ،

أيها الأحبة الكرام! إنّ هذا العالم مكان عمل والآخرة هي يوم
الجزاء، فمن عمل عملاً صالحاً خالصاً لله عزّ وجلّ في الدنيا نال الأجر
عليه في الآخرة.

فطوبى! للمنشغلين بالاستعداد للآخرة في هذه الدنيا الفانية،
ويدّخرون الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى للآخرة، فهياً معاً
لنستمع إلى محاضرتنا الأسبوعية ونأخذ المواعظ والعبر من الأحداث
والقصص وأقوال السلف الصالح رحمهم الله تعالى المليئة بالنصائح
والدروس حول التفكير في الآخرة.

كلّم يبكى للدنيا لا لي!

يُروى عن يزيد بن الصلت الجوشي رحمه الله تعالى: دخلتُ على
رجلٍ عابِدٍ بالبصرة، فوجدتُ أباه عند رأسه وأمه عند رجلَيْه وزوجته
عن يمينه وصبيته عن يساره، فقلتُ: ما تجد؟
فقال: مثل دبيب النمل بين جلدي وعظامي.

فبكى أبوه، فقال له: أيّها الشيخ الكبير! ما الذي يُبكّيك؟
قال: أبكي فراقك، وما أتعجّل بالوحدة بعدك.
فبكّت أمّه وزوجته وصبيته، فنظر إلى أمّه، فقال لها: أيّتها الوالدة
الرفيقة الشفيقة! ما الذي يُبكّيك؟
قالت: أبكي فراقك، وما أتعجّل من الوحشة بعدك.

فقال لامرأته: ما الذي يُبكيك؟
قالت: أبكي فراقك، وما أتعبَل من الوحشة بعدك.
فنظر إلى أولاده، فقال: معشر اليتامى بعد قليل! ما الذي يُبكيكم؟
قالوا: نبكي فراقك، وما تتعبَل من الوحشة بعدك.
فقال: أقعدوني، فلما أقعدوه قال: كلّكم يبكي للدنيا، أما منكم مَنْ
يبكي لما يلقاه وجهي من التراب؟!
أما منكم مَنْ يبكي لمسائلة منكر ونكير؟!
أما منكم مَنْ يبكي بمقامي بين يدي ربّي؟!
ثمّ صاح صيحةً فمات^(١).

أيها الأحبة الكرام! في هذه القصّة التي سمعناها أعطانا هذا الشيخُ
الصالحُ العابد الزاهد الورع رحمه الله تعالى فكرةً جميلةً عن الآخرة، وهو
يخاطب أفراد أسرته، وهكذا ينبغي علينا أن نتفكّر ونقلق ونبكي عند
ضياع النعم الدنيويّة.

يا تُرى! هل بكينا يومًا خوفًا من عدم الحصول على نعيم الجنّة
واستحقاق عذاب الجحيم الأليم بسبب المعاصي؟! نحن نبذل قُصارى
جهدنا من أجل الحصول على النعم الدنيويّة، ولكن هل حاولنا أن نقوم
بالأعمال الصالحة وبمجاهدة النَّفس ومخالفة هواها من أجل الفوز

(١) "عيون الحكايات"، الحكاية الرابعة والستون: كلّكم يبكي لنفسه لا لي، ص ٨٩.

بنعيم الجنة؟! إذا اخترنا أحد اختباراً دنيوياً نتعرق وننسى الجواب بسبب الخوف والقلق مع أننا ربّما قد حفظناه، ولكن هل سبق لنا أن إرتجفنا خوفاً من سؤال القبر وموقف الحشر، أو فكّرنا يوماً في الاستعداد لهذا الامتحان؟!

تذكّر! أنّ هذا العالم ونعمه كلّ مؤقتة، ويجب ألا يغيب عن البال أنّه سيتمّ محاسبتنا عن كلّ هذه النعم الدنيويّة في الآخرة، لا نُسأل فقط حول الطعام والشراب أو الأشياء الضرورية للاستعمال، بل سنُسأل أيضاً عن كلّ عملٍ وسنحاسب عليه، ولذا يجب علينا التفكير قبل أيّ عمل: هل العمل الذي ننوي القيام به يُفيدنا في الآخرة أم لا؟! لأنّ العبد قد يؤاخذ على ما لا فائدة فيه من العمل.

وسنُسأل يوم القيامة عن أجزاء الجسد التي يرتكب بها الناس المعاصي الكثيرة ليلاً ونهاراً دون تردّد؛ كالعين التي تتلذّذ بالحرام وتقترب الذنوب، وينظر بها إلى الحرام، ويُشاهد بها الأفلام والمسلسلات ويتلذّذون بالمخالفات ونحو ذلك، وينشغل كثير من الناس بسماع الحرام؛ كالغناء والمعارف والنكات البذيئة والغيبة والنميمة والاستماع إلى عيوب الآخرين، وكذلك كثير من القلوب مليئة بالأمراض الباطنة من الأفكار السيّئة والبغضاء والشحناء والكراهية والحقد الحسد والكبر والعجب وما إلى ذلك.



والعاقِل مَنْ يَفُوز بِإِنْقَازِ أَعْضَائِهِ مِنَ الذُّنُوبِ خَوْفًا مِنَ الْحِسَابِ
وَالْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِلَّا فَلَنْ يَكُونَ لَنَا جَوَابٌ عِنْدَمَا تُسْأَلُ عَنْ هَذِهِ
الْأَعْضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة:
أي: يُسأل كُلُّ واحدٍ منهم عَمَّا اكْتَسَبَ، فالْفُؤَادُ يُسأل عَمَّا افْتَكَرَ فِيهِ
واعتقده، وَالسَّمْعَ والبصر عَمَّا رَأَى مِنْ ذَلِكَ وَسمع^(١).

وقال العلامة شهاب الدين الألوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه
الآية الكريمة: واستدلّ بالآية على أَنَّ الْعَبْدَ يُوَاخِذُ بِفَعْلِ الْقَلْبِ؛
كَالتَّصْمِيمِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ؛ كَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعَجَبِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ، نَعَمْ! صَرَّحُوا بِأَنَّ الْهَمَّ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْ غَيْرِ تَصْمِيمٍ لَا يُوَاخِذُ بِهِ^(٢).

ويقول المفتي أحمد يار خان النعمي رحمه الله تعالى: يُوَاخِذُ الْعَبْدَ
عَلَى الْعِزْمِ السَّيِّئِ أَوِ الْمَعْتَقَدِ الْفَاسِدِ، نَعَمْ! لَا يُوَاخِذُ عَلَى الْوَسْوَاسِ الْقَهْرِيِّ
الْخَارِجِ عَنْ إِرَادَتِهِ.

ويضيف رحمه الله تعالى قائلاً: سَيُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ هَذِهِ
الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ: هَلْ فَعَلَ بِهَا الْحَرَامَ؟! لَذا، احْفَظُوا جَوَارِحَكُمْ

(١) "تفسير القرطبي"، الجزء العاشر، ٥/ ١٨٨-١٨٩، [الإسراء: ٣٦].

(٢) "روح المعاني"، ١٥/ ٩٧، [الإسراء: ٣٦].

من فعل الحرام، وليست هذه الأسئلة ليعلم الله تعالى، ولكن ليقيم الحجة على المذنب بالاعتراف بالجريمة^(١).

أيها الأحبة الكرام! ليس هناك شك في أن كل شيء له مقصد وغاية، حتى ملابسنا التي نرتديها، أو قلمنا الذي نكتب به، أو منزلنا الذي نعيش فيه، أو الساعة التي على معصمنا، وهكذا كل شيء لنا منه مقصد في تحقيق الهدف منه، تفكروا قليلاً! إذا كان لكل شيء في هذا الكون هدف وغاية من وجوده، فهل يكون خلق الإنسان سُدىً بلا هدف ولا غاية له؟ كلا! لم يخلق الإنسان في هذا العالم عبثاً، حيث قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

أيها الأحبة الكرام! ويتضح لنا من هذه الآية القرآنية أن هناك هدفاً خاصاً خلق الإنسان من أجله؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦].

ويظهر لنا بوضوح من الآية الكريمة السابقة بأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الجن والإنس دون هدفٍ ولا غاية، بل خلقهما من أجل عبادته جلّ وعلا.

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

(١) "تفسير نور العرفان"، ص ٤٥٥، تعريفاً من الأردنية.

اختبار الدنيا واختبار الآخرة

أيها الأحبة! ولا شك في أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فكلّ عمل يتمّ القيام به في هذا العالم يكون مهمًّا جدًّا بالنسبة للآخرة، فلا بدّ من القيام بالأعمال الصالحة لتحسين معادنا في الآخرة، عندما يهتمّ العبد بمقصده الأصلي وهو عبادة الله تعالى، وبذلك يسهل عليه تحسين الآخرة.

تفكّروا! عندما تكون هناك امتحانات في المدارس والجامعات والكليات كيف نرى ونشاهد أنّ الطلاب يبذلون قصارى جهدهم من أجل التّجّاح في الامتحانات، لدرجة ينسون فيها أن يأكلوا أو يشربوا، وحتى إذا كان هناك احتمال ضئيل لمجيئ سؤال ما في الامتحان فإنّهم يستعدّون لحله بشكل جيّد، ويركّزون على التحضير للامتحان والحصول على الدرجات العالية فيه، وحينها يدعم الآباء أيضًا أطفالهم دعمًا كاملًا؛ لأنّهم يعلمون أنّ هذا الولد إذا نجح في الامتحان فسيصبح رجلًا عظيمًا في المستقبل، وسيكون له ولآبائه شأن كبير في جميع أفراد الأسرة، وسيكسب الأموال الكثير، وسيكون مستقبله أفضل.

تفكّروا قليلًا! عندما نُتعب أنفسنا نحن وأبنائنا من أجل الدّنيا ألا يجب علينا أن نسعى بحمْد لامتحان الآخرة أكثر من امتحان الدنيا؟! هل فكّرنا يومًا في امتحان الآخرة أو الاستعداد له؟! هل قلّنا يومًا من أجل النجاح في امتحان الآخرة؟

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتفكير في الآخرة، آمين يارب العالمين.

الغفلة تزيد من الحسرة والندامة

تذكروا أيها الأحبة الكرام! أن الإهمال يجلب الكثير من المشاكل والمتاعب، وهذا المرض الخطير يجعل الإنسان بعيداً عن التفكير في الآخرة، فإن الحياة التي يقضيها العبد في الإهمال تدمره، ولقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يحرصون على أن لا يقضوا أي لحظة في الغفلة بل كانوا يبذلون قصارى جهدهم ليقضوا كل لحظة في عمل الخير إرضاءً لله سبحانه وتعالى، وكانوا يحافون من الغفلة رغم أن حياتهم كانت مليئة بالأعمال الصالحة.

كما قال سيدنا أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى: دخلتُ على رجلٍ صالحٍ أعوده، وهو مريضٌ وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه، وهو يبكي، وقد بلغ أرذل العمر، فقلتُ له: أيها الشيخ! مم بكائك؟ أعلى الدنيا؟ فقال: أبكي على فوتِ صلاتي.

قلتُ: وكيف ذلك، وقد كنتَ مُصلِّياً؟

قال: لأنِّي قد بقيتُ إلى هذا، وما سجدتُ إلا في غفلةٍ، وما رفعتُ رأسي إلا في غفلةٍ، وها أنا أموت على الغفلة^(١).

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

(١) "مكاشفة القلوب"، الباب السادس في الغفلة، ص ٢٢.

مجرد ادّعاءات لا طائل من ورائها

أيها الأحبة! نعم، هكذا كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى لم يعتزّوا بعبادتهم ولم يكونوا يستعظمون أنفسهم، مع أنّ أوقاتهم جلّها كان في ذكر الله جلّ وعلا والتفكّر في الآخرة، بل كانوا يخافون من تدبير الله بهم متضرّعين إليه جلّ وعلا أنّ يحفظهم.

ولكن للأسف الشديد! ما هو حال الذين يتهاونون بأمر دينهم وحالهم مع ربّهم! فأولاً: هم لا يفعلون الخير، وإذا قاموا بأيّ عمل صالح لا يرتاحون حتّى يُظهروا عملهم للآخرين، أمّا أولياء الله تعالى الصالحون فيكرمهم الله ويُحفظون من الذنوب بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ويخافون ويذرفون الدموع من خشية الله تعالى، وحال الغافلين بلا خوفٍ ولا خشيةٍ ولا دمةٍ ومع هذا منشغلون بالمعاصي ليلاً ونهاراً، ويتحدّثون كأنّ لا أحد أفضل منهم.

يقول الشيخ شقيق البلخي رحمه الله تعالى منبّهاً لنا ولهم: الناس يقولون ثلاثة أقوال، وقد خالفوها في أفعالهم:

(١) يقولون: نحن عبيد الله، وهم يعملون عمل الأحرار، وهذا خلاف قولهم.

(٢) ويقولون: إنّ الله كفيلاً بأرزاقنا، ولا تطمئنّ قلوبهم إلّا بالدنيا وجمع حطامها، وهذا أيضاً خلاف قولهم.

(٣) ويقولون: لا بدّ لنا من الموت وهم يعملون أعمال مَنْ لا يموت، وهذا أيضًا خلاف قولهم.

فانظر لنفسك أخي! بأيّ بدنٍ تقف بين يدي الله؟! وبأيّ لسانٍ تُجيبه؟! وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير؟! فأعدّ للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، واتّقوا الله! إنّ الله خبيرٌ بما تعملون أيّ: من الخير والشرّ.

ثمّ وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحّدوه في السرّ والعلانية^(١). أيها الإخوة الأعزّاء! نحن اليوم نبذل الكثير من الجهود من أجل الدّنيا، ولكننا ما زلنا غافلين عن همّ الآخرة، ونحلم بأن نصبح أغنياء، ونتجوّل في سيّارات فاخرة، ونتتبّع الموضات الجديدة، ونسينا الموت وما يعده من القبر وظلماته، والحشر وساحاته، والحساب وأهواله، نسينا أنّنا سنغادر هذا العالم الضاحك ببضاعة المعاصي والمخالفات، مَنْ ممّا يعرف متى سيموت؟! ربّما هذه اللّيلة هي آخر ليلة في حياتنا! ليس لا نضمن ولا نتمكّن من أخذ نفّس، من الممكن أن يكون النّفّس الذي نأخذه هو الأخير، ولن يكون هناك وقت لأخذ نفّس آخر، لولا لطف الله تعالى، كلّ يوم نسمع أنّ فلانًا كان بصحّة جيّدة، وفيما يبدو لم يكن يُعاني من أيّ مرض خطير، ولكن فجأة أصيب بنوبة قلبيّة ثمّ مات فجأة ودخل القبر المظلم.

(١) "مكاشفة القلوب"، الباب السادس في الغفلة، ص ٢٢.

وهنا وقفة وقصة! نذكر لكم فيها حكايتين مفيدتين لنعظ أنفسنا
بترك الغفلة فننشغل بالاستعداد للآخرة والتوبة عن المعاصي:

(١) مكان جميل ولكنه خطير جدًا

جاء في كتاب "عيون الحكايات": أنَّ رجلاً نزل بطن مسيل، فقيل
له: تَحَوَّلْ عن هذا المنزل، فإنَّه منزل خطر.

قال: قد علمتُ، ولكن يُعجِبُنِي نزهتُه ومرافقه.

فقيل: إنَّما تطلب الرفق لصلاح نفسك، فلا تخاطر بها.

قال: ما أريدُ التحوُّلَ عن منزلي.

فغشيه السيلُ وهو نائمٌ، فذهب به^(١).

(٢) الموت يأتي بغتة

وفي مدينة "فيصل آباد" بإقليم بنجاب (باكستان) ذهب أحد أذكي
طلاب كَلِيَّةِ الطَّبِّ في نزهة مع صديقه، وعند وصوله إلى مكان النزهة، نزل
صديقه للسباحة في التَّهرثم بدأ يغرق فيه، فقفز صديقه الطالب
مستعجلاً لإنقاذه في الماء، ولم يكن يعرف السباحة، فوقع في مشكلة
الغرق، وبتقدير الله تمكَّن صديقه من الخروج بصعوبةٍ كبيرةٍ، إلَّا أنَّه
وللأسف! مات طبيب المستقبل غرقاً، وذهب دعم والديه في شيخوختهما،

(١) "عيون الحكايات" لابن الجوزي، الحكاية الثامنة بعد الخمسمائة: حكاية

ولم تتحقق أحلام والديه، وقد دخل ذلك الطالب المسكين الذكي القبر قبل أن يُمسك النتيجة النهائية لامتحان الطب والجراحة في يده.

أيها الإخوة الأعزّاء! علينا أن نستيقظ من نوم الغفلة، ونتفكر في الآخرة، ونستعدّ للموت قبل أن نموت، إذا أهملنا الآخرة وانشغلنا بروعة هذا العالم وزينته، ثم فجأةً أصبنا مرضاً أو حادث خطير، أو فجأةً توقّف تنفّسنا ومُتنا فإنّا لن نحصد إلّا الندامة، ولا تظنّ أنّك من صغار السنّ، وتتمتّع بصحّة جيّدة، ولديك حياة طويلة الآن، وستقوم بالأعمال الصالحة حين تكبر.

تذكّر! أنّ الموت لا يأتي فقط في الشيخوخة أو في المرض، وأنّ ترى كيف يموت فجأةً الشباب الضاحكون اللاعبون الذين يتمتّعون بصحّة جيّدة ويدخلون القبر المظلم.

ولا شكّ أنّ الدنيا مثل الطريق الذي لا نستطيع أن نصل إلى وجهته إلّا بعد إتمامه، وتلك الوجهة إمّا جنّة وإمّا نار! الأمر الذي يتوقّف على طريقة سفرنا، هل سافرنا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ أم بمعصيتهما؟ ويُلّ لمن لا يزال مخدوعاً بالدنيا غافلاً عن الموت.

تذكّر أخي الحبيب! أنّ من ينشغل بالنعم الدنيويّة ويلهو بها، يصير غافلاً عن الآخرة، والغفلة تجعل العبد جريئاً على ارتكاب المعاصي، وتجعل العبد بعيداً عن الحسنات، وتسبّب له سخط الله تعالى، ولقد

أنعم الله علينا بنعم كثيرة في الدنيا، التجارة الحلال والوظيفة والمنازل الفخمة والتسهيلات الكثيرة فيها: المراكب الفاخرة والوالدان للأولاد من نعم الله تعالى، علينا أن نتذكر بأن الانشغال المفرط بأيّ نعمة دنيويّة هو: سبب في الغفلة والخسارة، حيث قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال الكثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة: أي: لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلوات الخمس كما شغلت المنافقين عنها، لا تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالتّماء وطلب التاج ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن الصلوات الخمس أو عن القرآن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدّين، وقيل: مَنْ يشتغل بثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: في تجارتهم حيث أثروا الفاني على الباقي وباعوا الباقي بالفاني^(١).

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

(١) "تفسير الخازن"، ٢٧٤/٤، و"تفسير النسفي"، ص ١٢٤٥، [المنافقون:

٩]، بتصرف.

أيها الإخوة الأعزّاء! إنّ من المؤسف للغاية أنّ الوضع العملي للمسلمين اليوم يزداد سوءاً، ومن أجل الحصول على المال يسافر الناس إلى بلدان مختلفة، ولكنهم يتجنّبون حضور المساجد؛ وهي على بُعد خطوات قليلة، وبعض الناس ينفقون الأموال الهائلة لتزيين منازلهم ولكنهم يتجنّبون إنفاقها في سبيل الله تعالى فصار كثير من الناس المسلمين لا يخرجون الزكاة الواجبة عليهم، ويختارون الأساليب المتنوعة من أجل زيادة الأموال ولكنهم يتكاسلون عن زيادة الحسنات.

الآن لدينا وقت! إذا استيقظنا من الغفلة وثبنا على الفور فالله يقبل توبتنا وإلا فسيخطفنا الموت فجأة من السرير الناعم ومن الغرفة المضيئة الملوّنة لندخل في قبرٍ مظلم مليء بالحشرات، ثمّ قد يستمرّ الصّراخ: يا ربّ! أرجعني إلى الدنيا؛ لأكثر من العبادة لك، وأنفق كلّ مالي في سبيلك، وسأؤدّي الصلوات الخمس مع التكبيرة الأولى في الصفّ الأوّل في المسجد، لكن صيحاته في ذلك الوقت لن تفيد شيئاً، كما قال

الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

إخوتي الأحبة! الحكمة تكمن في قضاء حياتنا وفق الشريعة الإسلامية، والابتعاد عن كلّ ذنب صغير وكبير، فننقذ أنفسنا ونحاول إنقاذ الآخرين أيضًا بالنصح والدعوة إلى الخير، لذلك يرجى منكم أن تشاركوا مع مركز الدعوة الإسلامية في ١٢ عملاً دينيًا في مناطقكم، وأنتم تصحبون الصالحين من خلال البيئة الدينية في مركز الدعوة الإسلامية، وهذا يساعد على زيادة الحرص على الآخرة، لذلك احرصوا على نشر هذه الأعمال الدينية في مناطقكم.

مَنْ هُوَ الْعَاقِلُ؟

أيها الإخوة! العاقل هو الذي يستعدّ للموت قبل الموت، والسعيد هو الذي يأخذ الحاجات الأساسية معه قبل أن يصبح مسافر الآخرة. وفي الحديث الشريف: عن سيدنا شدّاد بن أوس رضي الله تعالى عنه، عن سيدنا النّبي ﷺ قال: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ»^(١).

تذكروا! أنّ الحياة الدنيا قصيرة جدًّا، كلّ نفس يقربنا من الموت، ويأخذنا إلى نهاية الحياة الدنيوية، ويقربنا من حُفرة القبر، وكلّ نفس من أنفاسنا يقودنا إلى لقاء ملك الموت، وكلّ نفس لنا وسيلة لتقريب طريق الآخرة، وهذا يحثنا على الاستعداد لها، فإذا توقفت الأنفاس توقفت

(١) "سنن الترمذي"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٢٠٨/٤، (٢٤٦٧).

سلسلة أعمالنا، ثم لا يكون إلا الندم، وقد انتهت الفرصة حتى ولو لكلمة: "سبحان الله" مرة واحدة، لذا اغتنموا فرصة هذه الحياة، واكسبوا فيها الحسنات، وحاولوا أن تجعلوا الآخرة أمامكم أفضل.

إذا كانت ليلة القدر...

أيها الأحبة الأكارم! في العشر الأواخر من رمضان يستعد المسلمون لتحرير ليلة القدر طلباً لفضلها وبركتها، وطمعاً بمغفرة الله تعالى فيها، فقد منّ الله تبارك وتعالى علينا بتلك الليلة المباركة التي هي خير ليالي العام على الإطلاق، والتي نزل فيها القرآن الكريم، وتنزل ملائكة الرحمة فيها، وفيهم: سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام، فهم يتنزلون بالخير والرحمة والبركة، وقد جعل الله عز وجل العبادة فيها خيراً من عبادة ألف شهر، حيث قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ ۖ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾ [القدر: ٣-٥].

كما ورد في الحديث الشريف: عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن سيدنا الحبيب المصطفى ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

(١) "صحيح البخاري"، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونيةً،

أيها الإخوة الأعزّاء! إنّ فضائل ليلة القدر وأجرها كثيرة لمن يتعبّد فيها ويغتنمها، يُنزل الله تعالى رحماته على عباده في هذه اللّيلة المباركة ويغفر للمذنبين ويعتقهم من النار، وهناك أشقياء محرومون من المغفرة حتى في هذه اللّيلة المباركة، وقد ورد في الحديث الشريف: عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنّه سمع سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُمْ لَوَاءٌ أَخْضَرُ، فَيَرْكُزُ اللَّوَاءَ عَلَى ظَهْرِ الْكُعْبَةِ، وَلَهُ مِائَةُ جَنَاحٍ مِنْهَا جَنَاحَانِ لَا يَنْشُرُهُمَا إِلَّا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَيَنْشُرُهُمَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَيُجَاوِزَانِ الْمَشْرِقَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَيَبُثُّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَلَائِكَةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيُسَلِّمُونَ عَلَى كُلِّ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ يُصَافِحُونَهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يُنَادِي جِبْرِيلُ مَعَاشِرَ الْمَلَائِكَةِ: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ! فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ! فَمَا صَنَعَ اللَّهُ فِي حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ؟». «فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَعَفَا عَنْهُمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً».

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ هُمْ؟

قال: «رَجُلٌ مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَعَاقٌ لَوَالِدَيْهِ، وَقَاطِعٌ رَحِمٍ، وَمُشَاحِنٌ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْمُشَاحِنُ؟

قال: «هُوَ الْمُصَارِمُ»^(١).

أيها الإخوة الكرام! سمعتم أنّ الذين يشربون الخمر، ويعقّون آباءهم، ويقطعون أقاربهم، ويتعادى بعضهم مع بعض بلا سببٍ، يُحرمون من بركات ليلة القدر.

تأمّلوا! هل يوجد فينا من فيه الصفات السيئة؟! هل نؤذي آباءنا؟! هل نتجادل بغير سبب شرعي مع قريبٍ؟ مثل: العمّ أو العمّة أو الأخ أو الأخت أو الخال أو زوج الخالة وما إلى ذلك، هل هناك شحناء في صدورنا لأيّ مسلم؟! فإذا وقع أحدنا في هذه الذنوب فعليه أن يتوب بصدقٍ عنها قبل ليلة القدر، وينوي أن يطلب العفو ممّن ظلمه أو تسبّب له بأذيّة، وإلاّ فليتذكّر أنّ عاقبة هذه الذنوب رهيبَةٌ ومخيفةٌ جدًّا.

تذكّروا! أنّ "شرب الخمر" مدمّرٌ للدّين والإيمان والحياة والثروة والصّحة والمجتمع، والخمر أمّ الخبائث؛ لأنّ الإنسان المسكر يقع في النظر إلى الحرام والفسق والفجور وغيرها من المعاصي ويفسد آخرته. اللهمّ أجرني من التّار، يا مجير! يا مجير! برحمتك يا أرحمّ الراحمين.

تواضع الإمام الغزالي رحمه الله تعالى

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال: رأيتُ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في البريّة وبيده عكازةٌ، وعليه مرقعةٌ، وعلى عاتقه

(١) "شعب الإيمان"، باب في الصيام، فصل في ليلة القدر، ٣/ ٣٣٦، (٣٦٩٥).

ركوة، وقد كنتُ رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمئة عمامة
من أكابر الناس وأفاضلهم، يأخذون عنه العلم^(١).

إذن أيها الأحبة! هذه الصفات الحسنة نتعلّمها ونتربّي عليها في
البيئة الدينيّة لمركز الدعوة الإسلاميّة، فيُرجى أن تغتنموا صحبة هؤلاء
الصالحين الذين تتعاونون معهم على طاعة الله تعالى، رزقنا الله خيرَي
الدّين والدنيا وغفر لنا بلا حساب، آمين بجاه خاتم النبيّين ﷺ.

أيها الإخوة الكرام! الآن في نهاية هذه المحاضرة وفي هذه اللَّيلةِ
المباركة العظيمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم ممّن
يُوفّقون لقيام ليلة القدر، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
فَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ
فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَلَا تَدَعْ لَنَا يَا
رَبَّنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَظِيمَةِ ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا
مَيِّتًا إِلَّا رَحِمْتَهُ، وَلَا دَعَاءً إِلَّا اسْتَجَبْتَهُ، اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا رَمَضَانَ بِرِضْوَانِكَ،
وَالْعَتَقِ مِن نِّيرانِكَ، واجعلنا فيه من المقبولين، وأعدّه علينا أعوامًا
عديدة ونحن في صحّة وعافية، آمين بجاه خاتم النبيّين ﷺ.

صلى الله على سيدنا محمد

صلوا على الحبيب!

(١) "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي، سنة خمس